

ثقل روح خفيف عقل وقليل فضل كثير تيه  
فما اقبح هذه العادات والتعمير الكاذب وما اسفل هذه الاداب وأحط  
هاته الاخلاق

وقد اعجب كثيراً واسأل نفسي لماذا يسير البعض على هذا المنهج القبيح وهو  
مخالف للآداب والكلمات ولماذا لا نرعى سبيل الآداب الصحيحة وتتخذ الاخلاق  
الفاضلة الطيبة التي فطرنا عليها من غير كلف ولا عجب . فلو نصلح من انفسنا  
بانفسنا هذه العادات الذميمة ولا تقلد الاجانب فيما هو مفسد للاخلاق ومحط  
للالاداب بل ما هو نافع ومفيد ومهذب ومتمم للفضائل ولست انكر انهم يحرزون منها  
بالقسط الوافر يمكننا وقتذاك ان ندرك كيف تعمل الفتاة او الفتى كي يرتقيا  
ي . ج . الرشيدى

### ﴿ تأثير البنين على سعادة الوالدين ﴾

جلست ماري ذات يوم على فراش من الحرير الناعم واتكأت على منضدة  
من الوثير المزركش نائرة شعرها بعضه على المنضدة وبعضه على اكفافها وكانت  
تحديق بعينها في الفضاء كأنها عكست عليه صورة من افكارها تأملها بامعان ولا تريد  
ان ترفع نظرها عنها . وكان على وجهها أثر من الشحوب وفي عينيها اثر من الازم  
يشف عن بؤس وشقاء . لها زفرات لو اعطيت نطقاً بلغت السماء وتهدات لو  
اعطيت صوتاً لاقلقت القبة الزرقاء .

وفيما هي بين البكاء والعيول والتهد والزفير اذ خطر لها خاطر فوبت من  
مكانها ووقفت امام المراة تتمعن بها وتدقق النظر تحاول ان تجمع بين ما رسم امامها  
على الزجاج من قوام نحيل قد دق ورق وعيون ذابلة قد غارت ووجه نحيل قد  
صبغه الاصفرار من تأثير السهر وعلته اشارات البؤس والكآبة من الاعباء في الانتظار  
وبين ما طبع في ذاكرتها عن ماضي رسمها من خدود كالورد وعيون كالزهر وقوام

كالعود وطلعة كالندر . حتى اذا لم تتدر ان تجمع بين ماضيها وحاضرها وتبين لها الفرق الواسع والبون الشاسع . قالت :

جنيت على يا شارل في سنة واحدة ما لم تجنه على يد الايام في سنين عشر  
لماذا تهجرني على حبي لك وتجهفوني على شفني بك . وتبذني ولا ذنب لي ولا  
جريمة جنيت الا اني فقدت كل لحة جمال ولم اعد اروق لنظرك — شارل ان انت  
تراني بمنظارك المكبر الذي كنت تراني به من قبل حيث كنت ترى كل سيئاتي  
حسنا . اما اليوم فانت ترى كل حسناتي سيئات وان انت حبست عني امرك  
وكنمت كراحتك

وملت النظر الى المرأة فحوله عنها فوقع على مهد صغير بالقرب من سريرها عليه  
طفل له من العمر عام ونصف سليم الجسم قوي البنية جميل الطامة  
وكان نظرات الام قد اخترقت صدر الولد فايقظته من منامه . وكان سروره  
عظيماً لما فتح عينيه الوديعتين الساحرتين فوقعتا على امه . فبش لها وهش واهتز  
لها طرباً . ففتحت له ذراعيها وحمله الى صدرها وضمته وقبلته وهي تقول : حسبي  
ان تحبني انت امها الملاك الصغير اذ لا يهيك يانمة كنت او ذابلة ممشطة الشعر  
او مشورته مرتبة الملابس ام لا . وشيرى شارل فيما بعد اني لم اعدم شبابي واقفد  
نضارتي الا في الاعتناء بولده والاهتمام بفلذة كبده حتى جازاني على ذلك بالهجران  
لا تمضي ساعة حتى تأتي من عمالك لا لترى ولدك وامراتك ولكن لتناول  
طعامك وتملا معدتك ثم تذهب الى منزل حنا تقضي فيه من الوقت ما تشاء ولا  
تعود الي الا اذا جن الليل وانصف . هناك تجدمن حديث هند ما يسرك ومن منظرها  
ما يفرح قلبك . شتان بيني وبينها . وعند ذلك قرع الباب وكانت تتوقع مجيء  
زوجها فهولت لتفتح له ولكن خافت ان لا يكنه فوقفت وراء الباب مرة تجدل  
شعرها بسرعة ومرة تمسح به دموعها حتى اذا انتهت فتحت مصراع الباب  
وقد اصاب ظنها لان القادم لم يكن شارل بل كان امها وقد لحظت الام ما على  
محيا فنامها من الكآبة والشحوب وفي عينيها من اثر الدمع فاستفسرت امها فانكرت

هذه ما بها و ارادت ان تغير سياق الحديث . ولكن الام لم تكن لتساق الى الحديث الجديد قبل ان تعرف ما يحزن فاتها ويكيها . وقالت : - قولي ما بك ولا تخني عني أمراً اذ ربما أقدر على ارشادك ونصحك -

وكانت ماري في شديد الحاجة الى النصيحة فما سمعت كلمات امها حتى جرى الدمع من عينيها وهي تقول . نعم قولي يا اماه ارشديني وقومي الطريق امامي لاني شديدة الحاجة الى رأيك .

ان شارل يا اماه لم يعد يهتم بي ولا بولده وكان منزله قد تحول الى فندق لا يأتيه الا للمبيت او تناول الطعام

على انه من الصعب جداً يا اماه ان اقطع نفسي لخدمته وخدمة ولده ، اظل عاملة مكدة طول نهاري في خدمتهما حتى اذا انتهت ساعات عمله وعاد كل اقرانه الى منازلهم يقضون اوقاتهم في السهر والسمر والسرور اراوني دونهم وحدي فريدة اقضي كل ايامي ساهرة في انتظاره حتى يغلبني النوم فلا ارى زوجي الا في كل صباح حيث يكون مسرعاً مهتماً بالخروج لعمله وعند الغروب حيث يتناول عشاءه ثم يخرج الى منزل جارنا يوحنا حيث يمضي عنده اغلب اوقات الليل فقالت الام - :

- وهل يعلم شارل بيكائك

- لا بد ان يعرف ذلك لان شارل لم يعودني منذ القدم على هذا

الجفاء والمهجران

- اولا تعرفين لهذا التغيير من سبب

- كلا يا اماه على ان البير لما كان كثير الصراخ كثير البكاء وكان شاغلاً كل اوقاتي واهملت ابيه بسببه لم يعد شارل يشعر بذلك النعيم الذي كان يجده في منزله من قبل . فآخذ يتخلف عن منزله الى منزل جارنا حنا وكان يذهب في ابدى الامر متأففاً لانه كان يحب ان تقضي تلك الاوقات في منزله الى جانب امرأته . على ان شارل ما لبث ان وجد له سلوى بالذهاب الى هناك فصار يكثر التردد . فارتاح قلبي لذلك في ابدى الامر لان حسبي ان ارى شارل مسروراً

على اني لما شعرت بونحدي في بياده عني أخذت اعيد لمنزلي بعض الترتيب كما  
أخذت أوقات الطفل تنظم فصار ينام ويقوم ويرضع في ساعات مخصوصة ويترك  
لي وقتاً طويلاً للراحة والعمل الى أن أرجعت الى منزلي ذلك النعيم القديم الذي  
كنا نتمتع به من قبل أن يولد ألبير  
ولكني لم أنهض هذه النهضة يا أماه واستفبق من غفلي الا بعد أن  
فقدت شارل

— لقد فهمت كل شيء يا ماري وعرفت سبب هذا التغيير كله وعرفت انك  
سلكت ذلك المسلك الذي تسلكه كل فتاة طائشة نظيرك ولست ارى على شارل  
اي ذنب فيما فعل . لقد فهمت كل شيء وعرفت سبب هذه السحابة و...  
— ظننتك يا أماه تنتصرين لي فاذا بك تدافعين عن شارل وتأتين بكل اللائمة  
عليّ مع اني لم أجن ذنباً ولم أعرف سبباً لهذه المعاملة القاسية منه وهذا اللوم منك  
— تذكري يا ابنتي أن التي تكلّمك اليوم فتلومك هي نفس امك التي كانت  
تحنو عليك بالامس ولا تحبني عليّ اذا قلت الحقيقة لان الحقيقة كثيراً ما تكون جارحة  
— تكلمي يا أمي . قولي ارشديني وقومي الطريق أمامي لاني حرت في أمري  
ولم أعد أعرف ماذا أفعل

— لا تصوري الامر عظيماً او خطيراً يا ماري لان زوجك سريع الرجوع اليك  
اذا أنت احسنت الفكرة وتدبرت الامر بحكمة . ولست انتِ اول من نحى نحوك  
فلقد كدت انا الاخرى اقد ايك منذ ولدتك ولكنني عدت فعرفت خطئي  
ورجعت عنه فعاد اليّ

— وما الذنب الذي جنيت يا أماه قولي ولا تطيلي انتظاري  
— اسمعي . لما ولدتك وكنت اذ ذاك صغيرة في السن طائشة اخذتني عليك  
لهفة الام الحسود على ولدها الوحيد فتمت كل الايدي عنك . وكنت اخاف أن  
اعطيك الى خادم او اخ او اخت او اب وبالنهاية كنت أضن أن اعطيك لايك  
كأنما انتِ ولدي دونه . كنت اتعب واكد واشتغل في منزلي وانتِ على كفتي

او على يدي ولا اعطيك لاحد الا ان صراخك وبكائك اقلقاني جداً وحرمتي  
لذة النوم والراحة . وقد شغلت كل اوقاتي فلم يبق لي وقت اهتم فيه بأبيك او ارتب  
فيه منزلي حتى اصبح خراباً غير منظم ولا مرتب .  
واهملت خدمة ابيك الخصوصية فلم اعتن بملبسه ولا طعامه وكثيراً ما كان يعود  
عند الظهور فلا يجديني اعددت له شيئاً للطعام . فلا نستغري اذا كنت اقول لك ان  
أباك زهد مميسته اذ ذاك واصبح سئياً من هذه الحالة السيئة

فما كنت اصدق ان يعطل صراخك وتناهي الا والتجىء الى اراحة جسمي  
السقيم من التعب والسهر اغلب ساعات الليل وكل اوقات النهار فاذا ما جاء ابيك  
ووجدني نائمة يرأف بي ولا يلقني ولكنه أيضاً لا يحلوه البقاء في المنزل وحده  
فيخرج ولا يعود الا اذا تحقق اني صحوت . فاذا جاء والطفل نائماً كنت اذبله  
بأقسي مقابلة واطلب اليه ان لا يعمل صوتاً في مسيره في المنزل ولا يتكلم بصوت  
عال ولا يوقع على قيثارة ولا ارضى ان اخرج معه الى زيارة بعض الاصحاب ولا  
ولا ولا حتى لم يعد يحلوه ان يبقى في المنزل دقيقة واحدة بعد ان رأى نفسه طفلي  
نازلاً في منزل تلك الابنة التي حرمته لذة العيش وحرمته من زوجته . كان يدخل  
احياناً عليّ وانت على يدي تبكين وتصرخين بصوت عالٍ فيطالب اليّ ان يحملك  
قليلاً لعله يقدر ان يسكتك ولكني كنت ارفض طلبه كأنني كنت اخاف عليك  
منه مستأثرة بك كأنك لي وحدى من دون العالم كله . وكنت اقول في نفسي  
ليس من شأن الرجال ان تحمل الاطفال بل هذا من شأن الام وحدها

على اني ما لبثت ان صاحت شائني وحسنت حالة المنزل واقلمت انت عن  
الصراخ وانتظمت اوقتك فتركت لي وقتاً طويلاً ارتب فيه منزلي واعدت لزوجي  
طعامه واقوم بخدمة البيت واعيد له بعض الهناء والسعادة الحقيقية ولكن ذلك كله  
كان بعد ان فقدت ابيك واستشعرت بوجدتي . فالتجأت الى البكاء والتجيب  
ولكن اباك لم يكن يعرف شيئاً من آلام نفسي واسقامي فاذا عمل كي اكسبه  
واعبده اليّ ؟

خرجت ذات يوم لازور جارة لي فرأيت زوجها يحمل لها طفلها ويداعبه ويلاعبه ويناغيه . فسرت جداً من ذلك المنظر واشتقت بل تمنيت لو ارى هذا المنظر نفسه في منزلي . فما صدقت ان عاد ابوك عند المساء من عمله حتى حملتك اليه فأخذك وهو فرح جداً وقبلك وكأنه رأى فيك السعادة التي كان يندبها قبل ان يرزق بك والهناء الذي ينقص منزله . واعجبه ابتساماتك له ورأى منك عزاء وسلوى كبيرين منه جداً كما اني تركتك بين يديه . واخذت اثناعشر في اعمال المنزل برهة ثم عدت اليه حالاً ومكثنا بهدوء وفضاء هذه الليلة سعيدين جداً لا نأكلنا عثرنا على السعادة التي ينشدها قلب كل منا

وكانت هذه الليلة بداية ليلي كثيرة عقبها عرف فيها ابوك ان منزله احسن من الخارج ولم يعد يلذ له الا البقاء بين زوجته وولده وهكذا عادت المياه الى مجاريها واتشمت من اماننا تلك السحابة التي كانت تهدد صفائنا  
فقلت ماري :

— لعل هذا ما حصل معنا تماماً يا اماه وعللي المخطئة المسيئة اليه وانا الوم  
— نعم هي الحقيقة وهذا الخطأ تقع فيه سيدات كثيرات عندما ترزق الواحدة منهن طفلاً وتجد نفسها انها صارت اماً تندفع في محبة الولد دون الوالد وتقطع لخدمته اثناء الليل واطراف النهار تاركة او متغافلة زوجها المسكين غير مبالية بخدمته غير مؤدية له حتى اقدس واجباتها نحوه . تنسى زوجها وتهمله وتخص ابنها بكل اهتمامها وعطفها . ومع ذلك تظن انها مقصرة في حق الولد دون ابيه وكثيراً ما يكون الرجل كريماً فيعفر لها كل ذلك مؤملاً ان تتحسن حالها مع الوقت ومع التجارب ولكنه عبثاً تذهب كل امانيه وآماله حتى تفقد زوجها ثم تعود ترميه بقساوة القلب وتأتي باللائمة عليه وحده وكثيراً ما يوسوس لها الشيطان فتتهم زوجها بالخيانة والعدو وتأخذها عليه الغيرة وتنزع ثقتها منه  
— لقد اصبت يا اماه فلا اكرمك اني اصبحت اغار عليه كلما ذهب عند جارنا ولكن ما العمل الآن قولي لي ؟

